Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com for evaluation only.

Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.19, Issue: 2012

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور–باكستان.
العدد التاسع عشر، 2012م.

فضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها

د.خيرالدين خوجة (الكوسوفي)
أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر

Abstract

It is admitted that the Revelation of the Noble Qur'an in Arabic Language; had great impact in strengthening, consolidating, rectifying and expanding its expressional necessities. It is well observed in its meaning, imaginations, literature, rhetoric's and styles. Indeed the inimitability of the Noble Qur'an had caused transcendental talent developments, leading to great radical changes in the structure of Arabic Language, its literature criticism and rhetoric's. The merit of the Noble Qur'an on the Arabic Language can be viewed through the following point of views: Strengthening it, Expanding it through the expansion of Islam through the purification of its words and sentences, by establishing new spiritual, ideological and humanistic principles, establishing and developing linguistic sciences, for the purpose of protection of the Arabic language from its assimilation within different Aristotelian philosophies and Greece translations.

Regarding the impact and influence of the Noble Qur'an on the Arabic language; this phenomena can be viewed as follows: The Noble Qur'an had rescued the Arabic language from the dispersion among Arabic regional dialects by referring them to the best and most authenticated Arabic dialects, *the Qurashi dialects*, as the Noble Qur'an was revealed on the seven dialects. The Noble Qur'an has purified the Arabic language from the foreign elements by using the most attractive manners and expressions. The Noble Qur'an also has introduced into Arabic Language new styles and meanings which in the pre-Islamic period (*Al Jahiliya*) were not known, like *Islam, Iyman, El Furqan*, Al *Shirk*(Polytheism*), Al Kufr*(Disbelieve), *Al Nifaq* (Hypocrisy), *Al Saum*(Fasting), *Al Salat*(Prayer), *Al Zakat* (Giving psalms). These structural linguistic reforms done by the Noble Qur'an had attracted the attention of the great scholars and pushed them to further developing sciences, like the science of *Morphology*, *Syntaxes*, *Rhetoric's*, *Eloquent Styles of the Arabic Language*, etc. This paper will shed light on the previous aspects, thus proving the value/merit, and the impact of the Noble Qur'an on the Arabic language and its enrichment, by protecting it from the assimilation.

Keywords*: Al Qur'an, Arabic Language, Dialects, Rhetoric's, Revelation*

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب بلسان عربي مبين ولم يجعل فيه عوجاً، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، سيدنا ومعلمنا وإمامنا وقدوتنا ونبينا محمد وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار المخبتين بالليل والمجاهدين بالنهار، ومن استن بسنتهم واقتفى أثرهم إلى أن يقوم الناس لرب السموات والأرضين والبحار. أما بعد؛

فإن مما لا يختلف عليه عاقلان أن تعلّم العلم الشرعي ومعرفة أسرار كتاب الله عزوجل و أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر واجب على كل مسلم مكلف عاقل، أجمعت عليه الأمة سلفاً وخلفاً. وبما أن مصدَرَيْ ديننا الحنيف الكتاب والسنة قد أوحاهما الله باللغة العربية ولا سبيل إلى فهمهما وإدراكهما إلا بتعلم اللغة العربية، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وإن قوماً تكاسلوا عن تعلم اللغة العربية كان عاقبة أمرهم خُسراً، إذ اعتمدوا على الترجمات المختلفة لنصوص الكتاب والسنة، وجعلوها مطيتهم لفهم الشرع والتحدث باسمه. فكانوا ضحايا لسوء الفهم والتأويل والتفسير. فمن أراد أن يتفهّم القرآن والسنة فعليه بتعلم واتقان اللغة العربية. يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[3]، و قال أيضاً: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[4] و قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[6]وقال سبحانه: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[7].

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

فهذه الآيات المباركة فيها دلالة واضحة على ربانية وعربية قرآننا، وسلامة اللغة العربية من التناقض والاعوجاج. إننا نلاحظ التناقض والاعوجاج في بعض اللغات الأخرى، مثل اللغة الإنكليزية وغيرها، ولكن هذا الاعوجاج يستحال أن يوجد في اللغة العربية. ولقد أدرك السلف الصالح من علمائنا أهمية فهم وحفظ و من ثم نشر الشريعة الإلهية، و أدركوا أنه لا يمكن نشرها إلا من خلال الوسيلة واللغة التي نزلت بها فانكبوا على تعلم اللغة العربية وهم من غير العرب، فأصبحوا أئمة وفرساناً في الشريعة والتفسير والحديث واللغة، مثل الإمام الطبري والإمام الرازي والإمام البخاري والإمام مسلم وسيبويه وغيرهم كثير. ومع انتشار رقعة الإسلام في أرجاء المعمورة انشرت اللغة العربية بين صفوف المسلمين العرب وغير العرب، وأقبل المسلمون يتعلمون كتاب الله عز وجل ويحفظونه ويعلمونه لغيرهم. فقد أصبغ القرآن الكريم قداسة على اللغة العربية و أدرك المسلم أنه إذا ما أراد التقرب إلى الله عز وجل بتلاوة وفهم كتابه الكريم، لازم مجالس العلماء وحلقات العلم وتعلم منهم اللغة العربية حتى يستطيع أن يتلو كتاب الله حق تلاوته. وقد تعرضت اللغة العربية عبر العصور إلى يومنا هذا إلى هجمة شرسة منتظمة من قبل المستشرقين وبعض المتلوثين بالفكر الغربي، ولو لا كتاب الله عز وجل المحفوظ من قبل الله تبارك وتعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأصابت اللغة العربية ما أصاب باقي اللغات من الانصهار والاضمحلال والذوبان وانتشار العامية والفوضى. فلله الحمد أولاً وآخراً وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من الأمم، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

المبحث الأول: فضل القرآن الكريم على اللغة العربية

إن حديثنا عن القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية، حديث الشيء عن ذاته، فالقرآن الكريم عربي المبنى فصيح المعنى، وقد اختار الله تعالى لكتابه أفصح اللغات. أنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم ليكون معجزة من المعجزات الحسية والمعنوية إلى قيام الساعة. وكانت هذه المعجزة أعظم برهان على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أنزل الله عز وجل هذه المعجزة على قوم أولي بأس لغوي وبياني شديد، وهذه المعجزة ناسبت حال القوم الذين برعوا فيه. كان مشركو مكة وما جاورها من الديار والقرى قد برعوا في العربية والفصاحة والخطابة والبيان وإليهم انتهت رياسة علم المعاني والبيان والبديع. وللقرآن الكريم الفضل الكبير على اللغة العربية كوعاء شرف يحمل معانيه العظيمة، وقد كان حرص المسلمين على القرآن الكريم هو الداعي لحرصهم على اللغة العربية ومقاومة ما قد يطرأ عليها من لحن، مما أدى إلى وقوف أولي الأمر واللغويين موقف المدافع[8]. يقول الأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر، أستاذ التفسير والدراسات القرآنية في جامعة طيبة بالمدينة المنورة – رحمه الله تعالى– والتي جمعتنا بفضيلته ساحة العمل والدعوة والتدريس بجامعة طيبة:

" ولقد بلغ العرب أرفع مستوى عرفته الإنسانية في الفصاحة والبلاغة وارتقوا في ذلك فوق جميع الأمم مراتب ظاهرة فكان لإظهار الله تعالى القرآن على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الفوائد ما لا يساويه غيره من المعجزات، فإنه لو اقتصر الأمر على إظهار معجزات مادية على منوال قلب العصا حية أو إحياء الموتى، مما لم يألف العرب جنسه وليس لهم بحاله معرفة ولا بصيرة، لاحتمل أن يتوهموا أنهم إنما عجزوا عن مثله لذلك السبب خاصة. فلما خص الله محمداً بالقرآن أبعدهم عن الوقوع في تلك الشبهة. فالفصاحة دأبهم ومفخرتهم، بها يتبارون ويصولون. فكان القرآن المعجز مما يعلمون مزيته لأول وهلة بيسير من التأمل. وهذه الطريقة السديدة في المعجزات عين الحكمة، فلا يحسن العدول عنها إلى غيرها[9].

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

وقد أشار القاضي عياض رحمه الله إلى وجوه الاعجاز قائلا: " ومن وجوه اعجازه المعدودة، كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[10] وقال: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[11] وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها[12].

وقد تحدى الله عز وجل المشركين وكفار قريش، فرسان العربية والبلاغة الذين عارضوا النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي أنزل عليه؛ تحداهم الله عز وجل أن يأتوا بحديث مثله، أو بسورة مثل سور القرآن أو بمثل آية من آيات القرآن، ولكنهم عجزوا ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا إلى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[13]وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[14] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[15] وفي آخر المقام أثبت الله عز وجل العجز للجميع قائلاً: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[16] .

لقد أدرك الإمام الثعالبي هذه الحقيقة عن أهمية وميزة هذه اللغة وعبر عنها أبلغ تعبير عندما ذكر في مقدمة كتابه الشهير فقه اللغة وسرّ العربية أن: "من أحب الله تعالى، أحب رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم –، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، واعتقد أن محمداً خير الرسل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بها فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره[17].

وقد ذكر العلماء بأنه قد ساد في العصور الأخيرة الجهل بالدين والعربية، وفقد كثير من الناس السليقة العربية الأصيلة وأضحى اللغة الفصحى بين أهلها مقام الغريب، ولولا نعمة الله عز وجل وفضله ورحمته على المسلمين بالهداية القرآنية وحفظه تعالى للتراث اللغوي والبلاغي القرآني من خلال مؤلفات الدراسات اللغوية وجهود العلماء المخلصين، لأصابت اللغة العربية ما أصاب بقية اللغات من الاضمحلال والذوبان. يقول الأستاذ محمد هاشم: " من المسلّم به أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية كان له أعظم الأثر في توطيد هذه اللغة وتقوية سلطانها على الألسنة[18]، وتهذيبها وتنقيحها واتساع أغراضها التعبيرية وفنون القول فيها، ويبدو ذلك في تنوع المعاني والأخيلة والأساليب والألفاظ...كما يبدو تأثر العرب بأسلوب القرآن الكريم جلياً، إذ انطبعت في لغتهم العذوبة والفصاحة والجزالة، فإنه خالط قلوباً قاسية فألانها وطباعاً قاسية فهذبها، وأضفى على اللغة العربية عذوبة لفظ، ورقة أسلوب، وسماحة ترتيب، وقوة حجة، ورزانة منطق، ودقة أداء، وغزارة معنى...وكان من فضل القرآن الكريم على اللغة تهذيبها من الحوشية، والسير بها إلى السهولة والمتانة. ووضوح القصد وبلوغ الغرض من أوضح الطرق وأجود الأساليب، فإن المسلمين طالما رطبوا شفاههم بآياته في صلاتهم وعبادتهم، واستجلوا مظاهر الأدب الرفيع المعجز في عباراته وأمثاله واستعاراته ومجازه وكناياته وتمثيله...وقد جاء القرآن الكريم مخالفا لكلام العرب في الطريقة والمذهب وفي المنزلة والمصنعة، وان جانس لغتهم في المادة والتركيب، ولولا ذلك لذهب في كلامهم، وكان سبيله سبيل القصائد والخطب والأقاصيص وغيرها... وكان مثله حينئذ مثل ما يبقى من أمور الإنسان، ولكن أبى الله لآيته واعجازه أن يكون كذلك، فأنزل القرآن حاوياً لأهم أسباب الارتقاء من الغلبة والانفراد والتميز...وكان نزوله بهذه الطريقة المعجزة سبباً في حفظ العربية واستنباط علومها، وكان أصل ذلك هو التحدي به الذي كان من حكمته أن ينظر العرب في أساليب القرآن ووجه نظمه،

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

ليتدبروا طريقته، ويجربوا عليها أنفسهم ويحملوها على الاتيان بما تحداهم به إن استطاعوا، حتى إذا استيقنوا العجز من أنفسهم، وأجمعوا عليه مع توفر الدواعي وقيام الحاجة إليه...وهكذا أضاف القرآن الكريم معاني جديدة وأساليب لغوية لم يعهدوها، وتراكيب غير مألوفة على سمعهم، إلى غير ذلك مما أكسب اللغة العربية ثراء ودقة وجمالاً[19].

و قد أكسب القرآن الكريم اللغة العربية بقاء وثباتاً إلى قيام الساعة والحمد لله أولاً وآخراً. وبجانب كون القرآن الكريم حافظاً أساسياً للغة العربية من الضياع، فقد أجمع العلماء والباحثون على كون القرآن أيضاً حاوياً وحافظاً للهجات العربية الأصيلة من الانقراض من خلال اشتمال القرآن الكريم على القراءات القرآنية المتواترة والشاذة والتي رواها لنا الثقات من القراء الأجلاء مشافهة بالتواتر جيلاً عن جيل إلى يومنا هذا. ففي هذا الكنز العلمي العظيم يظهر فضل الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً للعالمين، وأن مصير اللغة العربية والمسلمين مرتبط بمصير الدين الإسلامي ومدى تمسك الناس بشرائعه وأحكامه و أوامره ونواهيه. وفي هذه الحقيقة العلمية والتاريخية يقول بعض العلماء:

"...ولا يخفى أن الانسانية لم تعرف طول تاريخها لغة خلدها كتابها إلا اللغة العربية فقد أعطى اللغة إكسير الحياة وسر البقاء. وقد حفظ لنا هذا الكتاب نصوصاً من لهجات العرب التي لا يرقى شك إلى فصاحتها[20]. وسلامة ألفاظها لغة وأداء، وذلك في القراءات القرآنية التي تمثل منهجاً في النقل لا يصل إلى وثاقته علم آخر مهما يكن حتى منهج الحديث. وعلى هذا يكون هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة، وقراءاته المختلفة...ومن المعلوم أيضاً أنه عندما جمعت اللغة العربية ودونت لم يعوّل إلا على ألفاظ القرآن الكريم، وألفاظ الشعر الصحيح، وكلام أعرق القبائل وأبعدها عن تأثير الأعاجم فيها، كقيس وتميم وهذيل وأسد وغيرها. والقرآن الكريم هو الذي حفظ لنا أسس لساننا سليمة، ولولاه لما كان من المستبعد أن يكون اليوم لكل قطر عربي لغة خاصة، هي بالنسبة إلى

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

اللغة العربية الفصحى كالفرنسية والإيطالية والاسبانية بالنسبة إلى اللاتينية...وعلى هذا فإن مصير اللغة العربية مرتبط بمصير الدين، وبسبب هذه الميزة اتصل حاضر الأمة العربية بماضيها، وحافظت اللغة العربية على ذاتها...إن القرآن الكريم جنس لغوي، لا يزال أهله متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً، حتى يأذن الله بانقراض الخلق، ولو لا هذه العربية التي حفظها القرآن الكريم، لما اطرد التاريخ الإسلامي، ولما تماسكت أجزاء هذه الأمة ولا استقلت بها الوحدة الإسلامية[21].

المبحث الثاني: أثر القرآن الكريم على اللغة العربية

يذكر الباحثون والمهتمون بهذه المسائل أن أي لغة من اللغات تبقى ملازمة لأهلها، كما أنها ترقى بقوتهم وتضعف بضعفهم، فهذا المظهر الاجتماعي خاضع لقانون النشؤ والارتقاء. ويحكي لنا التاريخ أن كثيراً من لغات الأمم والحضارات ذاقت لوعة الهوان والضياع والذوبان، بخلاف الحضارة الإسلامية واللغة العربية، والذي حفظها القرآن الكريم، وكانت اللغة العربية أقوى اللغات في مواجهة التحديات والمصاعب عند اختلاط العرب مع الأعاجم. كل ذلك بسبب المقومات المدنية والحضارية التي تحتويها اللغة العربية ببركة لغة القرآن الكريم. ولا يذكر التاريخ أن الإنسانية عرفت في تاريخها لغة خلدها كتاب رباني إلا اللغة العربية، وأن القرآن الكريم أعطى للغة العربية إكسير الحياة وسر البقاء واستمدت اللغة العربية من كلمات القرآن الكريم روح الثبات وشجاعة الحياة. فكان القرآن الكريم الروح التي جعلت العربية الفصحى لغة كل العصور، وكل فضل جاءنا من اللغة العربية فمرده إلى القرآن الكريم، والحمد لله أولاً وآخراً[22]. ومن أهم ما أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية من آثار أذكر ما يلي:

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

1. المحافظة على اللغة العربية من الضياع

إن أثر القرآن الكريم على اللغة العربية كان بالغاً للغاية من حيث المضمون والشكل. فنصوص القرآن نصوص مقدسة وسرمدية إلى قيام الساعة، فبقاء النصوص القرآنية بقيت اللغة العربية حية نابضة فعالة إلى يومنا هذا. لقد أشار الدكتور يوسف الشربجي إلى بعض الأسرار وراء خلود اللغة العربية: " أن السر الكامن وراء خلود اللغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، ونزع من صدورهم الإِحَنَ والضغائن والأحقاد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن، يدافع عنها، ويذود عن حياضها، يقرع أسماعهم صباح مساء...فلما كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لا جرم أن المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، واعتبروا أن كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية، وأن النيل من اللغة العربية هو نيل من القرآن، ولذلك فإن بقاء اللغة العربية إلى اليوم وإلى ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن، لأن الدفاع عنه– لكونه أصل الدين ومستقى العقيدة– يستتبع الدفاع عنها لأنها السبيل إلى فهمه، بل لأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام دين الله، وأن القرآن من عند الله لا من وضع أحد...، ويبدو هذا الأمر واضحاً لمن تتبع اللغات وما تعرضت له من انقسام وانشطار واندثار بعد أن كانت لغة عالمية محكية وصناعية، وليست اللغة اللاتينية عنا ببعيدة فقد كانت لغة وحضارة وسطوة وقوة فبقيت أثراً بعد عين. وعلى العكس من ذلك فإن اللغة العربية لم تكن لها هذه القوة وهذه المنعة، وليست لغة حضارة وصناعة، إنما كانت لغة صحراء وأمية، بكل ما تفرضه بيئة الصحراء من بساطة وضيق عيش، وبعد عن العلوم والمعارف، ثم إن العرب قد تعرضوا للحروب والدمار كغيرهم، ولكن ما

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

زالت لغتهم قوية ساطعة تنبض بالحيوية والنشاط، وما ذلك إلا بفضل القرآن الكريم، الذي تكفل الله بحفظه، فحفظ به اللغة التي نزلت به، ولم يتكفل بحفظ غيره من الكتب المقدسة فبادت اللغة التي نزلت فيها واندثرت[23].

2. تقوية اللغة والرقي بها نحو الكمال

لا يشك عاقلان في كون القرآن الكريم مصدر طاقة وقوة وحيوية للغة العربية، و لولا هذه الطاقة الربانية والقرآنية ما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة. يقول العلاّمة الرافعي رحمه الله:

"نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك، لأنه صفا اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنها هي لغتهم التي يعرفونها[24].

ورغم اللهجات الشرقية التي تتعرض لها اللغة العربية من خلال نشر اللهجات العامية العربية بشكل منهجي ومنظم من خلال تأسيس الأقسام الخاصة في بعض الجامعات الأمريكية والعربية، ووضع مقررات عربية خاصة للهجة السورية والعراقية[25]

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

والتونسية والمغربية غير أنهم اعترفوا بقوة اللغة العربية وحيويتها وسرعة انتشارها. يقول المستشرق أرنست رينان:

"من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال، سلسة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمّة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها[26].

ويقول جورج سارنوت:

"ولغة القرآن على اعتبار أنها لغة العرب كانت بهذا التجديد كاملة، وقد وهبها الرسول- صلى الله مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي الإلهي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن يعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد.

ويقول بروكلمان: "بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن اللغة العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمان طويل رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطلق بها شعوب إسلامية[27] وقد أشار الأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر في هذا الصدد إلى بعض الآثار القرآنية الأخرى على اللغة العربية، أرى من الفائدة ذكرها باختصار، حيث قال رحمه الله:

1- استنقذ القرآن المجيد العرب من شتات اللهجات القبلية الكثيرة، فعمل على تقارب اللهجات وائتلاف ألسنة أهلها بالنطق بأفصح لهجات العربية...،

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

2- هذب القرآن اللغة العربية من الحوشي والغريب فأحالها إلى لغة صافية شفافة جذابة...،

3- أدخل القرآن الكريم على العرب معاني جديدة ما كانوا يعرفونها ولا يعرفون التعبير عنها[28]، فهناك ألفاظ ابتدأها القرآن الكريم ابتداء كالإسلام والإيمان والفرقان والشرك والكفر والنفاق والصوم والصلاة والزكاة...، وهناك المضامين الحسية الشيقة الخالدة، مثل لفت النظر إلى ملكوت السموات والأرض، واشتقاق الأدلة العقلية الملزمة مثل البراهين الدالة على وحدانية الله وعظمته و قدرته ووجوب عبادته وحده لا شريك له...، فالقرآن العظيم نزل في مائة و أربع عشرة سورة أنزلها علام الغيوب بياناً فريداً بديعاً معجزاً في عبائره ومعانيه، في شكله و محتواه على حد سواء...،

4- اعتاد العرب على مواسم وأسواق كانوا يقيمونها في مواطن من جزيرتهم...،حتى صار كل سوق مجمعاً أدبياً لغوياً رسمياً له مُحَكِّمونَ تضرب لهم القباب...،وكثيراً ما تنشب بين فرسان البيان منافسات حامية الوطيس ينقسم فيها أهل الأدب إلى جهات متخاصمة...،وتتشابك فيها الحجج والدلائل...،دون أن يقدم التحكيم فيها قولاً حاسماً يفض المنازعات البلاغية إذ كانوا يعتمدون على الذوق والفطرة السليمة، ولم يكونوا مجمعين على نموذج أدبي أعلى يتخذون مقياساً في تمييز الأفصح والأبلغ، وبالتالي لم تكن لديهم قواعد وضوابط بيانية يجديهم الرجوع إليها فتيلاً فكانوا يذهبون في ذلك مذاهب شتى...،فهل لهذا التفرق من تلاق !؟ لما فاجأهم القرآن بسلسبيل بيانه وعقدت الدهشة ألسنتهم من تفوق بلاغته وجلالة مكانته؛ خضعت له أعناقهم واذعنت أذواقهم، وأيقنوا أنه لا سبيل إلى مجاراته...،فانقادت إليه ملكاتهم و سجاياهم وسارعوا ينهلون من بحر بيانه...، وأقبلوا على دراسة ملامح الجمال الأدبي...،حتى استخلصوا منه قواعد البلاغة والفصاحة، فكان القرآن لهم المثل النموذجي الأسمى،

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

والمقياس المثالي الذي أجمعت القلوب والأذواق على الركون إليه والاحتكام إلى بيانه...،

5- لا تزال آثار القرآن البليغة تترى في ألوان الأدب العربي؛ شعراً ورجزاً وحكمة وخطابة ونثراً. إذ ظهرت فيها جميعاً تعابير وصور، بعضها مقتبس من القرآن وبعضها يصطبغ بصبغته وينسج على منواله. أما الموضوعات فبعضها جديد بالكلية كالتصوف والزهد، وبعضها دخله التجديد والقوة والحيوية كالحماسة، لكن جميع الموضوعات تأثرت بالقرآن تأثراً بيناً لا مراء فيه[29]، إذ ظهرت فيها قيم جديدة كثيرة روحية وعقلية واجتماعية وإنسانية مستقاة من القرآن بحرص مرهف وتقديس ظاهر.

6- سيطر القرآن على الملكات الأدبية واجتذب اهتمامها وعنايتها...،فلا جرم أن الفضل في نشوء علوم اللغة ونموها وازدهارها عائد إلى القرآن المجيد ذاته. فالقرآن هو الحاكم المهيمن على هذه العلوم، والكلمة منه حجة لها أو عليها و ليس لها من سبيل عليه وهذا أمر جلي واضح. ومن عجب أن يتوهم بعض الجهلاء غير ذلك، فيتشدقون مفتعلين إشكالات بين نصوص القرآن العظيم وقواعد اللغة العربية !! وذلك لأنهم غفلوا أن ليس عليه من سلطان و أنه هو المهيمن عليها الحاكم فيها! فالشاهد القرآني هو الحكم الفصل بين مختلف الآراء في كافة علوم اللغة...، وتوالت التصانيف بعدئذ من (نظم القرآن) للجاحظ، و (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني وغير ذلك كثير.

7- يتضح لك و لكل باحث أن القرآن هو جذوة حركة النقد الأدبي عند العرب وأنه الباحث الرئيسي الموجه لها وللدراسات البلاغية كافة. فإن تأملت الدراسات النقدية ومقاييسها في فنون القول تجدها جميعاً قد خضعت للنهج القرآني الذي أظهرته دراسات إعجاز القرآن المبين، كما

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

احتكمت إلى الشاهد القرآني فهو المثل الأعلى والمقياس النموذجي الرفيع. ومن نهجه و منحاه يؤخذ فصل الخطاب في التفاضل بين الأساليب[30].

8- لما نشطت دراسة تفسير القرآن ودراسة اعجازه البياني، تعمقت الأبحاث بحظ وافر في علم الذوق، فتجلى أثر القرآن في تربية الذوق الأدبي العربي. وانطلق علماء القرآن والبيانيون من النظر في جلال الربوبية وأثرها في القرآن إلى الطبع وأثره في الشعر، وإلى ملاحظة صورة النظم في النفس قبل التعبير —كما أوردها الخطابي — فقطعوا في علم النفس الأدبي شوطاً، وإن لم يعرفوه باسمه الحديث. تؤكد لك ذلك بحوثهم في الأثر النفسي للتعبير وما يعتمد عليه من صور. فالصور البيانية في علم البيان تعتمد على التشبيه والاستعارة والكناية، وتتمتع فيها الألفاظ بخصائص حيوية تفيض بالإيحاء وترسم في الخيال صوراً تثير المعاني في النفس إثارة مؤثرة. وهكذا عنوا بتأمل سمات قوة القرآن في التصوير بتحريض جميع الحواس الإنسانية من سمع وبصر وحس وذوق وشم، حتى يثبت الصور في الخيال والادراك والوجدان.

9- كلما أمعنت في دراسة النقد العربي وجدت نفسك مضطراً إلى مطالعة دراسات الإعجاز القرآني، وأدركت ان ملكة النقد إنما انتشت بذورها في صميم دراسات الإعجاز ونمت وترعرعت أغصانها في ظلال القرآن ورعايته. فإن القرآن العظيم صاحب الفضل الكبير في تربية ملكة النقد الأدبي عند العرب وتطورها. وإن لأسلوبه الذي امتاز بالتفوق في روعة التعبير وجمال الأداء، أثراً بليغاً مبيناً في مقاييس الأدب وموازينه فقد أصبح الشاهد القرآني هو الحَكَم الفصل بين فنون القول وأنماط الأساليب. فإن دراسات النقد العربي قد نهلت من القرآن المبين، وماتزال تروي رياضها النضرة من ينبوعه الصافي الرقراق.

10- افتُتِن أدباء العرب بأسلوب القرآن وإحكام نظمه، وأجمعوا على إقبال عليه قديماً و حديثاً. ولا عجب! فإنك ترى العبارة منه أو الكلمة

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

حين يقتبسها أديب تشع في سماء كلامه كالكوكب الساطع قال الجاحظ:" وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آيٌ من القرآن .فإن ذلك مما يورث الكلام والبهاء والوقار والرقة وحسن الموقع...". إن أسلوب القرآن البالغ الروعة ليس له نظير سابق ولا نظير لاحق في اللغة العربية. فعلى سنته حاول الأدباء أن يصوغوا آثارهم الأدبية من شعر وخطابة وحكمة وأمثال، مهتدين بهدي ديباجته الكريمة وحاشيته الرقيقة و عباراته السلسة...، فظهرت في القرآن نتائج فريدة في اللغة والأدب والبلاغة والنقد، لم يحدث كتاب قط مثيلها في لغة من لغات العالم. تلكم ظاهرة أدبية فذة رائعة ومزية عظيمة عجيبة، امتازت بها العربية على سائر لغات العالم، لأنها جميعاً لم تشرّف بكتاب إلهي مبين كالقرآن العظيم[31].

3– توحيد لهجات اللغة العربية

من المعلوم أن لهجات اللغة العربية كانت مختلفة، تحتوي على الفصيح والأفصح، والرديء والمستكره، حتى إن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف من أجل التخفيف على العرب في قراءته وتلاوته، ولا شكّ أن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، ولذلك نجد عثمان رضي الله عنه قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، وقال للجنة الرباعية: "إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلغتهم" وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها.

ونجد الإمام السيوطي رحمه الله ينقل عن الإمام الواسطي قوله مبيناً فضل لهجة قريش على بقية اللهجات العربية في جزيرة العرب: ".... لأن كلام قريش سهل واضح، وكلام العرب وحشي غريب. ولذلك حاول العرب الاقتراب منها، وودوا لو أن ألسنتهم انطبعت عليها حين رأوا هذا القرآن يزيدها حسناً، ويفيض عليها عذوبة، فأقبلوا على القرآن الكريم يستمعون إليه، فقالوا على الرغم من أنفهم: "إن له لحلاوة

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه[32]. ولم يزل المسلمون يقبلون عليه ويتلونه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، حتى صاروا بفضل القرآن خير أمة أخرجت للناس، ينطقون لغة واحدة عربهم وعجمهم، وكان بذلك جامعاً للعرب والمسلمين على لغة قريش وما يقاربها، وليس بينهم هذا التفاوت والاختلاف في اللهجات كما كان قبل نزول القرآن، وبذلك دخلوا في مرحلة تاريخية فريدة هي توحد لغتهم وألسنتهم فيما بين بعضهم البعض بل وعلى مر العصور وكر الدهور[33].

وكما هو معلوم أن العرب كانوا متفرقين إلى الشعوب والقبائل قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لكل قبيلة منهم لهجة خاصة في النطق بالكلمات، وكانت العرب تجتمع كل عام في سوق عكاظ ومواسم الحج ويحضرها عدد كبير من الخطباء والشعراء وفرسان البيان والشعر. وفي هذا المؤتمر السنوي التجاري والعلمي العام أفكارهم كانت تتلاقح ولا تتناطح، ويستفيد بعضهم من بعض، وبهذه الطريقة طرأت على هذه اللهجات زيادة ونقصان وتطور وتحريف إلى أن بزغ فجر الإسلام فأن أنزل الله عز وجل كتابه باللسان العربي المبين حتى أحدث هذا الوحي الإلهي الخاتم ثورة علمية ولغوية جديدة بين العرب، وسارعت العرب إلى اتباع طريقته في الفصاحة والبيان[34]. وأضحى القرآن الكريم شهادة ومعيار المركز بالنسبة للعرب (Criteria of Center) يحتكم إليه في معرفة الفصيح من الأفصح. و التقريب بين اللهجات العربية كان متاحاً من خلال هذه التجمعات والمناسبات العامة، غير أن هذه اللغة لم تكن يوماً من الأيام لغة الجميع، لأنهم كانوا يعتبرون التحول من لهجة إلى أخرى عاراً. وهكذا ذاب فيما بينهم تناكر اللغات واختلاف اللهجات تحت راية الإسلام وحكمه، وتعلم المسلمون اللغة العربية بأسلوب سهل ميسر عجيب معتمدين على منهج قرآني فريد، كما هو الحال في كثير من بلاد المسلمين في الهند وباكستان وتركيا وعندنا أيضاً في الجزيرة البلقانية في البوسنة والهرسك وكوسوفا وألبانيا ولله الحمد والمنة أولا وآخرا.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

وبهذه الطريقة أصبحت اللهجات المستكرهة في سلة التاريخ يستشهد بها ولا تستخدم في الحياة العامة. وعندما خرجت اللغة العربية من الجزيرة العربية بالفتوحات الإسلامية فإذا هي لغة أهل الشام والعراق ومصر وفارس وغيرها، وانتقلت من كونها لغة دين إلى كونها لغة شعب ودولة[35]، وأصبحت لكل المسلمين في العالم اللغة الشرعية الوحيدة والجائزة في العبادة، وأجمع أئمة المذاهب الأربعة على عدم جواز الصلاة بلغة أخرى غير العربية.

4- تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية

من المعروف أن اللغة هي صورة صادقة لحياة الناطقين بها، والعرب قبل نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن ويذكر أو موقع بين الأمم آنذاك حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم[36]، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع في جزيرتها فلا تبرح إلا لتعود إليها. وقد ظلوا كذلك، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، والقرآن الكريم ضمن لها الحياة الطيبة والعمر الطويل، فها هي ذي حية قوية، تنطق بها الملايين عالمياً. ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة.

5- أحدث فيها علوماً لم تكن لتوجد لولاه

مثل: علوم تشريعية كالحديث والفقه وأصولهما، وعلوم لغوية كالنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة، وعلوم فلسفية كالمنطق والفلسفة الإسلامية والتوحيد وعلم الكلام وغيرها من العلوم.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

6- جعلها تتفوق على كثير من لغات الأقوام التي جاورها العرب

بل وغير العرب أيضاً، كما هو مشاهد وملموس اليوم عندما نقارن العربية بلغات أخرى مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية وغيرها[37].

7- تأثير القرآن الكريم على النفوس البشرية

أما عن تأثير القرآن الكريم على النفوس البشرية، المؤمنة والكافرة فحدث ولا حرج. وكيف لا تتأثر النفوس البشرية والله عز وجل قد حدثنا في كتابه أن هذا القرآن الكريم قادر على أن يؤثر حتى الجمادات والصخور والجبال...، وأفضل ما وقفت في هذه المسألة؛ دراسة الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، وأرى من الفائدة اقتباس فقرات من كلامه إتماماً للفائدة العلمية وللقارئ الكريم. قال حفظه الله:

" للقرآن تأثير بليغ أخاذ على النفس الإنسانية، وهذا يدل على أنه كلام الله، لأن النفس البشرية لا تتأثر هذا التأثر عندما تسمع أو تقرأ أي كلام من كلام البشر. صحيح أن الكلام البليغ يؤثر في النفوس الواعية، سواء كان هذا الكلام شعراً أم نثراً، و كلما زادت بلاغة الكلام وفصاحته ازداد تأثيره في النفوس، لكن أثر القرآن في النفوس يزيد عن تأثير أي كلام بشري فصيح فيها. وقد أشار القرآن إلى أن له أثراً خاصاً عجيباً، حتى لو خاطب الله به الجمادات لأثر فيها وزلزلها.قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[38]

الكفار محجوبون عن القرآن المؤثر، لو أنزل الله القرآن على جبل لأثر فيه بحيث يخشع الجبل و يتصدع من خشية الله، ولكن الله لم يخاطب به الجبل، وإنما خاطب به البشر، وحري بهم أن يتأثروا به و يخشعوا الله! ولكن الناس لم يتأثروا جميعاً بهذا القرآن، فهناك من تأثروا به، وهناك من أعرضوا عنه. الكفار أعرضوا عنه، ولما سمعوا آياته نفروا منه، وبذلك كانت قلوبهم أقسى من الجبال والسبب في ذلك هو الحجاب الذي جعلوه على قلوبهم، فمنع من وصول نور القرآن إليها، وبذلك جنوا على أنفسهم.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

قال تعالى:﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾[39].

وإن الكفار المحجوبين عن القرآن يعلمون أثره في النفوس عندما تنفتح عليه، وكانوا يخشعون أن يقبل عليه الأتباع ولذلك كان الملأ من الكفار يتواصون على أن لا يسمعوا القرآن، وأن يحدثوا اللغو والضجة والضوضاء والتشويش، لئلا يسْمَعَ أتباعُهم القرآن. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[40].

أما القرآن فإنه (واثقٌ)، من أثره في النفوس، لذلك طالب المسلمين أن يتلوه على الكافر المستجير، وأن يسمعوه إياه ليتأثر به. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ....﴾[41].

هذا عن أثر القرآن في نفوس الكفار، أما بالنسبة للمؤمنين فإن قلوبهم مفتوحة لأنوار القرآن، ونفوسهم متأثرة به، قال تعالى:﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[42].

وقد ذكر الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي نماذج من تأثير القرآن في نفوس الكفار، قصة استماع ثلاثة من زعماء قريش للقرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة طيلة ثلاث ليال متتالية. ثم ذكر نماذج من تأثير القرآن في نفوس المؤمنين من الصحابة، وذكر قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم قصة الأستاذ سيد قطب رحمه الله مع المرأة المسيحية من يوغسلافيا السابقة عام 1949 في رحلته على ظهر السفينة من مصر إلى نيو يورك وتأثرها الشديد بالآيات القرآنية[43].

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

الخاتمة

نخلص من هذا الكلام في نهاية هذه الورقة أن فضل القرآن الكريم وتأثيره البالغ لم يكن على اللغة العربية في الحفظ والإثراء فحسب، وإنما كان على الكون والخلق والعالمين أجمعين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

[1] سورة الشعراء: 192-195.

[2] سورة الشورى:7.

[3] سورة طه: 113.

[4] سورة فصلت: 3.

[5] سورة يوسف: 2.

[6] سورةالزخرف: 3.

[7] سورةالزمر: 28.

[8] جبري، عبد الله عبد الناصر ؛ لهجات العرب في القرآن الكريم – دراسة تحليلية، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2007، ص 206.

[9] عتر، حسن ضياء الدين؛ المعجزة الخالدة، دار نور المكتبات، جدة، ط4، 2005، ص 110.

[10] سورة الحجر: 9.

[11] سورةفصلت:42.

[12] عياض، قاضي؛ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، المطبعة العثمانية، مصر، 1312 هـ، ص 232

[13] سورةالبقرة: 23.

[14] سورةيونس: 38.

[15] سورةهود: 13

[16] سورةالإسراء: 88.

[17] الثعالبي؛ فقه اللغة وسر العربية، ط.د.، القاهرة، 1938م ، ص1.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

[18] انظر للمزيد؛ من عجائب القرآن اللغوية، للأستاذ ا لدكتور فؤاد محمود سندي، الإصدار الثالث لملتقى الأحبة في مكة المكرمة، ط1، 2008، ص 17 -32.

[19] انظر للمزيد : http://arabic.bayynat.org.lb/nachratbayynat/idaaat/idaat218.htm تم تصفح الموقع بتاريخ 2010/05/25 م يوم الأربعاء.

[20] للمزيد حول هذه المسألة انظر: لهجات العرب في القرآن الكريم – دراسة استقرائية تحليلية، للأستاذ عبد الله عبد الناصر جبري، ص 73 – 141.

[21] المرجع السابق بتصرف، ص 73، 143، 206، وانظر أيضاً: المعجزة الخالدة، للأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر، ص 372 -392، وانظر أيضاً: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، ط 3، 2008، عمان، ص 491-506.

[22] للمزيد حول هذه المسألة انظر: لهجات العرب في القرآن الكريم – دراسة استقرائية تحليلية، ص210، وانظر أيضاً: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن باقوري، دار المعارف، مصر، ط.د، ص 28-32.

[23] انظر للمزيد: http://www.al-maqha.com/t7344.html ، ثم تصفح الموقع بتاريخ 2010/05/20م ، وانظر أيضاً: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ط. دار المعارف، مصر: 1969م، ص 33.

[24] الرافعي، صادق، تاريخ آداب العرب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م ج2 ص 74.

[25] مطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، دار أشبيليا، ط1، 2000، ص 140 -141.

[26] مطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، ص 140 -141.

[27] انظر المرجع السابق، وانظر أيضاً: الجندي، أنور ؛ اللغة العربية بين حماتها وخصومها، ط. مطبعة الرسالة، بيروت، ص 25.

[28] انظر للمزيد حول هذه المسألة بحث الدكتور يوسف بن عبد العزيز الشبل بعنوان: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، مجلة الدراسات القرآنية – مجلة علمية دورية محكمة، (العدد 2-1429)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 131 - 170.

[29] انظر للمزيد حول هذه المسائل: مجلة البحوث والدراسات القرآنية – مجلة علمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه تصدر مرتين سنوياً، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد (الرابع) السنة الثانية 1428 هـ،

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

بحث الدكتور صالح بن محمد آل أبو بكر الزهراني، بعنوان: أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، ص 126 -176.

[30] للوقوف على سر الأساليب القرآنية صرفياً ونحوياً...انظر دراسة وموسوعة الأستاذ الدكتور عبد الخالق عضيمة رحمه الله، الأستاذ بجامعة الأزهر وجامعة أم القرى بمكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، بعنوان: دراسات لأسلوب القرآن (11 عشر مجلداً)، فإن فيها خيراً كثيرا و فوائد جمدة واستدراكات وملاحظات كثيرة على النحاة واللغويين القدامى وذلك من خلال الشواهد القرآنية، ط1، 1373 هـ، مكة المكرمة، والذي قال عنها المحقق الكبير الشيخ محمود شاكر رحمه الله: ".. ولم يسبقه أحد في هذا العمل، ولا أن أحداً من أهل زمانه كان قادراً عليه بمفرده، بسبب الصبر والجلد ومعرفة وأمانة في الاطلاع ودقة في النقل.."، وقد قام كاتب هذه السطور ومعد هذه الورقة العلمية بمراجعة وعرض هذه الدراسة ، وطبعت هذه المراجعة العلمية في المدينة المنورة عام 2009 م، فارجع إليها إن شئت.

[31] حسن، ضياء الدين عتر، المعجزة الخالدة، ص 372 – 382 بتصرف، ولمعرفة قوة وفضل اللغة العربية وقدرتها على مواجهات التحديات والمصطلحات العلمية المعاصرة...انظر: بحث الطبيب الأستاذ الدكتور محمود فوزي المناوي بعنوان: متى يتكلم العلم العربية – الطب نموذجاً، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – المملكة العربية السعودية، ص 3- 20.

[32] كلام عتبة بن ربيعة عندما قرأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أوائل سورة فصلت، انظر تفسير ابن كثير، ج3، ص 150.

[33] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة العربية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، مصر، ج1، ص129.

[34] انظر: لهجات العرب في القرآن الكريم، دراسة استقرائية تحليلية، ص 207.

[35] انظر: المرجع السابق، ص 211-213.

[36] انظر أيضاً: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – مجلة علمية محكمة، العدد 144، السنة 41، 1429 هـ، بحث الدكتور عبد العزيز بن صالح العمار، بعنوان: التفسير البلاغي لسورة الإخلاص والمعوذتين، ص 313 – 370.

[37] انظر http://www.nayli.com/vb/showthread.php?t=9862 ، تم تصفح الموقع بتاريخ 2010/04/15.

[38] سورة الحشر:21.

[39] سورةالإسراء 45-46.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

[40] سورة فصلت:26.

[41] سورةالتوبة: 6.

[42] سورةالزمر:23.

[43] صلاح، عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، 491 – 492، وانظر أيضاً: من عجائب القرآن اللغوية، للأستاذ الدكتور فؤاد محمود محمد سندي، ص 41 -101.

المصادر و المراجع

1. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، طبعة مصرية، ط 1، 1400 هـ.
2. باقوري، أحمد حسن، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، دار المعارف، مصر، ط.د
3. الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ط.د.، القاهرة، 1938م.
4. الجندي، أنور، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، ، ط. مطبعة الرسالة، بيروت.
5. الخالدي، صلاح الفتاح؛ إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، دار عمار، ط 3، 2008، عمان، الأردن.
6. الرافعي، صادق، تاريخ آداب العرب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م.
7. سندي، فؤاد محمود ، من عجائب القرآن اللغوية، الإصدار الثالث لملتقى الأحبة في مكة المكرمة، ط1، 2008.
8. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة العربية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مصر.
9. عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ط1، 1373 هـ، مكة المكرمة.
10. عتر، حسن ضياء الدين؛ المعجزة الخالدة، دار نور المكتبات، جدة، ط4، 2005 .
11. عياض، قاضي؛ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، المطبعة العثمانية، مصر، 1312 هـ، .
12. مجلة البحوث والدراسات القرآنية ، مجلة علمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه تصدر مرتين سنوياً، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد (الرابع).
13. مجلة الجامعة الإسلامية – مجلة علمية محكمة، العدد 144، السنة 41، 1429 هـ، المدينة المنورة.

Generated by Foxit PDF Creator © Foxit Software
http://www.foxitsoftware.com For evaluation only.

14. مجلة الدراسات القرآنية – مجلة علمية دورية محكمة، (العدد 2-1429)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، الرياض، المملكة العربية السعودية.
15. مطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، دار أشبيليا، ط1، 2000.
16. المناوي، محمود فوزي ، متى يتكلم العلم العربية – الطب نموذجاً، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – المملكة العربية السعودية.
17. http://www.nayli.com/vb/showthread.php?t=9862 ، تم تصفح الموقع بتاريخ 2010/04/15م.
18. http://arabic.bayynat.org.lb/nachratbayynat/idaaat/idaat218.htm تم تصفح الموقع بتاريخ 2010/05/25 م يوم الأربعاء.
19. http://www.al-maqha.com/t7344.html ، تمّ تصفح الموقع بتاريخ 2010/05/20م.

*****